عند الحمَّة ووادي الرَّقاد

وفي الجنوب غورٌ عميقٌ تستقِرُّ فيه مدينَةٌ جميلة متأنِّقةٌ هي الحِمَّة السورية عند مصبِّ نهر اليرموك ، تنْبثقُ منها ينابيعُ ثلاثة : المَقْلىٰ الساخن ، والريح ، والبلسم ، وفيها منافع للناس والزائرين ويقصدونها للشفاء والراحةِ والاستجْمام من كل قرىٰ ومدن المنطقة ودمشق والمدن السورية وغيرها ، يصلونها عبر طُرُقٍ متعرِّجَةٍ في جبال عاليةٍ تُطِلُّ علىٰ مَشَاهِدَ تَسرُّ الناظرين ، أو في قطار ينساب إليها علىٰ سكك تتلوىٰ وسط الوادي العميق ، ويدخُلُ نفقاً ويخرجُ إلىٰ آخر والركابُ فَرِحون مسرورون يغنون ويمرحون ، وقد حملوا زادهم وأمتعتهم كي يَطيبَ لهم المقام ويحلو الاستجمام بين الخمائل وتحت الأشجار ويتمتعون بدفء المياه المعدنية المنبثِقة من عيونها الحارة المفيدة ، وقد كانت هذه المنطقة مُقاماً للحكام والأمراء الأمويين يقصدونها شتاءً وربيعاً ، ولهم فيها قصورٌ ومَرابع .

وعند أطراف وادي خالد ووادي الرقاد العميقين تقوم قرىٰ شهدت معركة اليرموك المصيرية ، بين الجيش الروماني

والقوات العربية التي طَهَّرَتْ تربتها من رِجسٍ أناخَ علىٰ كاهِلِ أُمَّتّنا مدةً طويلةً من الزمن.

وفي الياقوصة حيث تسكنها عائلاتٌ عربيةٌ جاءت مع حملات الفتح الإسلامي الكبير فعمَّروها بالخير وكان فيها العطاء ، وعند حِفَّةِ الوادي الشمالية تقوم قرىٰ جبين وحيتل وكفر الما وأبو خيط ، وخسفين التي تتوضَّعُ علىٰ طريق دمشق فيق الحمة ، وحول هذه القرىٰ يَنْبُتُ الياسمين والبابونج والزعتر البري ، وتسرح عندها قطعان المواشي المنتشرة هنا وهناك ، وفيها الخيول السارحة والغزلانُ الشاردة تقفِزُ في سهولها وفوق تلالها ، وفيها مضافاتٌ مفتوحةٌ للغادي والرائِح ، وعليها رجالٌ يُكرِمون القاصِدين مهما عَلا مَقامُهم أو صَغُرَ شَأنهم ، وتُنْحَرُ الذبائحُ وتقدمُ المأكولات للضيوف وتدارُ القهوة المرّة والشاي.

ولكلِّ عائلةٍ مضافةً يقيمُ فيها شيخُها ويشرف علىٰ إكرام الضيوف والسَّهر علىٰ راحتهم.

* * *